

الأمير الإستراتيجي

الضرورة في تقييم العمليات على كونها معارضة لعمليات المعلومات في العراق وأفغانستان

العقيد وليم دارلي- جيش الولايات المتحدة الأمريكية *

وهكذا كان النصر لكل الأنبياء المسلحين والفشل مصير
غير المسلحين منهم.

مكيا فيللي، الأمير

بين العديد من أعياد التجلي والتي يمارسها الجيش الأمريكي وفقاً
للعمليات التي يقوم بها في العراق وأفغانستان. إن إدراك هذه الحالة يعتبر
مثير ولو إنه متأخر حيث إنه يحتاج إلى فهم كامل لتراث البلد وكذلك المهارات
الثقافية النامية (مثل الإمكانات اللغوية) للعمل بنجاح في مثل هذه البيئات.
وكنتيجة لذلك فإن التراث أصبح من المواضيع الساخنة للمناقشة في
الحلقات العسكرية، وما ينتج عنها من توسع أدبي سريع والذي يقدم الوصفات
المختلفة للحصول على إمكانات ثقافية متطورة (1). المشكلة الرئيسية تتعلق
بالأطروحة الحالية لمعظم الآداب هذه في الحقيقة، الإهتمام العسكري بالتراث
على كونه بعد من أبعاد ساحة المعركة وهذا ما يؤسف له ولكن الإصرار السائد
على إن التراث هو عبارة عن مجرد نوع من العقبات البشرية والتي تتطلب أن
تفتح على طاولة المفاوضات كأى عامل آخر يعترض العمليات الناجحة، كما
في التعامل مع المناخ والتضاريس المعاكسة. وهذا أبعد ما يمكن أن نصل إليه
في تقديرنا للتراث ضمن السياق العام لأنواع الصراعات التي نواجهها في
العراق وأفغانستان، نحن سوف لن نطور أو نوسع المهارات المناسبة، بل سوف
نقيم السياسات التي تتطلب المعونة للوصول إلى الأهداف السياسية للبلد.
بدلاً من إستئصال مجموعة من هذه الإمكانات، ومع إن التعديل السياسي

*العقيد دارلي رئيس تحرير مجلة ، المراجعة العسكرية، مركز القوات الموحدة، معسكر ليفينورث،
كانساس.

الذي يثبت انه غير فعال وربما يكون عكس المطلوب لتداعي الفهم الأفضل للصراعات على كونها إصطدامات معارضة للتسوية بين الإختلافات الثقافية وأنظمة القيم المتضاربة.(٢)

لتوضيح جوهر أنواع الصراعات والتي تشغلنا حالياً، يجب علينا أن نلاحظ البعد الثقافي لميادين القتال هذه وفهمها بصورة جيدة ليس على كونها وسائل بل كنهايات أو أهداف. إن الثقافة ليست فقط أحد أبعاد هذه الصراعات؛ بل إنها ساحة القتال. لذا يجب علينا أن نفهم بصورة منطقية الهدف النهائي على كونه تحويل لتلك الثقافات والقيم المغروسة أساساً بمواطني البلد بأسلوب يجعلها تتوافق مع القيم المغروسة في ثقافتنا والأهداف السياسية في حالة الحرب.(٣)

وبالتالي فإن السبب الأساسي للدراسة العسكرية للتراث يجب أن لا يكون منصب فقط على تعليم كيفية التفاوض أو إستغلال الثقافة البشرية كما لو تكون هي العائق في ساحة المعركة. بل إن الدراسة العسكرية للتراث والتدريب يجب أن تركز على معونة كافة العناصر للقوى الوطنية والعالمية في الوقت نفسه على تغيير صفة السلوك البشري نفسه (على سبيل المثال، الإنتصار على العدو بواسطة تغيير الثقافة التي يمارسها وتسانده). وبدون هذا التغيير للثقافة الأساسية ونظام القيم اللذان يُحرّضان على الوجود المستمر للعدو ونشاطاته. وإن النجاح على أرض المعركة بغض النظر عن حجمه أو مدته سيكون سريع الزوال. نحن بإمكاننا أن نصرح عن الإنتصار فقط بعد ظهور الدليل الواضح والثابت بالإستجابة لمجموعة جديدة من القيم المعيارية. وفي النهاية فإن المحتل يجب أن يكون (روماني) لكي يبقى محتل. كيف يمكن أن يكون لنا تأثير فعال على مثل هذه التغييرات في الثقافة ضمن الكثافة السكانية للعدو.

التاريخ يقدم لنا بعض الأجوبة المقنعة لهذه الأسئلة. إدراك التغيير الثقافي على كونه من المكونات الأساسية للنصر هو ميزة قديمة ومتكررة في التاريخ لمعظم النزاعات. وكنتيجة لذلك وبما أن العصور القديمة هي المفتاح الحقيقي للإستراتيجية وأساس في بناء الإمبراطوريات الناجحة وهذا يستلزم فرض نظام القيم الإمبراطوري لجعل ثقافة الدولة المحتلة تتوافق مع ثقافة الدولة الغازية ولقبول تشريع الدولة الغازية وسلطتها في أذهان أفراد الدولة المحتلة.(٤) روبرت إ.ل. كول يُعرّف العنصر الثقافي الأساسي والذي يسبب مثل هذا التغيير الجوهري بوصف حقيقة الهوية الثقافية الوطنية على كونها ليست فقط الأرض التي تحيط بعدد وصنف الناس الساكنين فيه، أو الحالة الإقتصادية المتولدة فيه

. . . . بل أنها صورة المجتمع المتكونة من جراء الماسك الإنتقائي لمجرى الأحداث والأساطير وقصص البطولة والإدعاء بالقيم. هذه الرموز الغامضة تُكوّن الدين المدني للأمة، وهي مجموعة من الأساطير تبحث عن إجماع الآراء. وتحاول أن تعطي غطاء مقدس للمجتمع المتنوع، وتعطي معنى لوجود المجتمع.(٥)

وبتعبير آخر. نجد أن كولس قد عرّف " الدين الأهلي او المدني" على إنه مفتاح القوة التراثية النابعة من المركز والتي تُوحّد الناس بالهوية العرقية والقومية وتُكيّف قيمهم. والقوى الامبريالية للأزمنة القديمة قد عرفت بصورة واضحة أهمية مفتاح الدين الأهلي أو المدني وبأنه قوة الإقناع المتكاملة للمجتمع. ولذلك أرادت بشكل نشيط أن تحوّل التراث ونظام القيم للدولة المحتلة بفرض الدين الأهلي للدولة الغازية ويتم هذا عبر مزيج من محاولات تغيير العقيدة والإكراه. على سبيل المثال العنصر الرئيسي للفتح الروماني شمل إندماج الممارسات الدينية المحلية في داخل الدين الروماني على كونها وسائل للتبادل الثقافي مع شعب الدولة المقهورة .

إن روما سمحت بإستمرار التقاليد الدينية المستقلة المحليّة طالما إن عامة الناس راعوا وأعطوا الإحترام المستحق إلى السلطة الدينية الرومانية وأعادوا الشرف المناسب للآلهة الرومانية. وإن روما أجابت عصيان ذلك المبدأ باتخاذها إجراءات عديمة الرحمة أبطلت الديانة السلتية (الديانة البريطانية والإرلندية القديمة) وهذا مثال واضح.(٦)

العديد من النزاعات فيما بعد طبقت تأكيد روما على إستعمال الدين المدني على كونه أداة ثقافية للقهر وشملت الإمبراطورية الروسية عند غزوها آسيا الوسطى، وشمال أوربا عند غزو ما يعرف اليوم بالولايات المتحدة، وغزو إسبانيا وأمريكا اللاتينية، بما فيها المكسيك. إن هذا المبدأ قد إنعكس أيضاً في سياسات الفتح بواسطة الولايات المعتنقة الأيديولوجية العلمانية والتي إمتلكت خواص الدين المنظّم مثل الإشتراكية الوطنية في ألمانيا النازية أو الدين المدني لحقوق الإنسان الفردية والذي ظهر في الولايات المتحدة.

تضع عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية في قلب مبررات روسيا الإمبراطورية لغزوها آسيا الوسطى. الإقتناع بأن الروس كان عندهم الواجب لنشر الحضارة من خلال الآلة المقدسة للإيمان المسيحي الأرثوذكسي. وهو المجرى الرئيسي لسياسة التوسع الروسية والتي ظلت لقرون.(٧) وكما وصفها مايكل

خوداركوفسكي. "التوسع الروسي بإجّاه الجنوب والشرق كان أيّ شيء ما عدا الصدفة زراعة الأراضي الجديدة والتهدئة والإستقرار. وحويل رعاياها الجّد إلى المسيحية الأرثوذكسية أصبحت السبب الإمبراطوري المهم في القرن الثامن عشر ومهمّة الروسية الخاصة.(٨)

إدراك الغرض المقصود من تلك السياسات للقادة الروس الذين كانوا متأثرين بمخاوف ظهور أديان أهلية أخرى كتحديات. و كما ذكر المؤرخ العسكري روبرت باومان .

متأثرين بالمثال البولندي ونهوض ألمانيا. نظّر القوميون الروس منذرين من خطر كالدوّامة بتأثير الجرمانية واللوثرية في إقليم البلطيق. بين الأكثر صراحة كان لوري سامارين خبير العلاقات العامة ألسلافي الذي هاجم ضيق التفكير البلطريقي. من الإقليم الحدودي المشهور أوكريني روسي حيث انه دعا إلى جهود كفاحية لتغيير عقيدة كل من لاتفيا وأستونيا إلى المسيحية الأرثوذكسية.(٩)

و بنفس الأسلوب. فُرض الدين المدّني على المقهورين في أمريكا من قبل الفاحين الأوروبيين الشماليين وأصبح يشكل السمة الغالبة. ويلاحظ فرانز الثيم بأن المنظور الإنجليزي وُرت من قبل المتشددين الأمريكيين واشتقّ من علم اللاهوت البروتستانتية:

إن النظام الانكليزي للفكر السياسي قد ولد بالبوريتانزم. وهو مذهب بروتستانتية يدعو لتبسيط الطقوس والإعتقاد بأن الفرد كان غريب الأطوار وإن موقفه خاص أمام الله وأمام العالم أيضاً. ... إنكلترا كانت أيضاً مثل روما حيث فقد كان واجبها تحقيق ذلك إستنباطاً من مجرى التاريخ . "هذا القدر الظاهر" والذي يتضمّن المسؤولية لله وللعالم أيضاً. يتطلب من الدولة وفي وقت الضرورة على الأقل تقديم الخير للعالم وجيرانها بتأسيس قواعد الخاصة والتي لا يمكن للطرف الآخر أن يراها.(١٠)

أصبح القدر الظاهر لبروتستانت أميركا قوة التأثير النفسي للمستعمرين الأمريكيين الأوائل كما صار كذلك الدافع للإستيلاء العدائي بإجّاه الغرب. حسب تعليقات الميجر جنرال نلسن مايلز فقد رسم محيط الخطوات المطلوبة "لتحصّر" السكان الهنود والتي تعكس كيف أن هذه المفاهيم أصبحت سائدة ومرتبطة بعمق في الوعي الأمريكي عامة. حيث انه يُصوّر الهنود على

إنهم عنصر بدائي لا يستطيع بأيّ إبداع إنساني أن يكون مُتَحَضِّراً ويعتقد المسيحية خلال بضع سنوات من الوقت.(١١)

من سخرية القدر نجد الزعماء المكسيكيين قد فرضوا الدين المدني الكاثوليكي على الشعوب التي انتصروا عليها. إن ظهور المذهب البروتستانتي من الشمال كان عبارة عن تهديد للدين المدني السائد ولنظام القيم المغروس في الدولة المكسيكية. علقت ماريا رودريغاس دياز بأن المحافظين المكسيكيين رأوا في إعتناق القيم الظاهرة عبارة عن تدمير للغة المكسيكية و تآكل للعادات الدينية في وجه تزايد الإتصال مع الولايات المتحدة.(١٢) و تستمرُّ ماريا في ملاحظة ذلك.

إن المحافظين كانوا أكثر من انتقد القَدَر الظاهر (Manifest Destiny) وهم الذين كانوا يدافعون عن الكاثوليكية على كونها الجذر الرئيسي للتراث المكسيكي. وبانتقادهم لنمط حرية الفكر لجعل المكسيك دولة حديثة وإنهم أظهروا الدين الكاثوليكي على كونه الأساس لتحقيق الوحدة الوطنية. إن الأنكلو- ساكسون استمروا بتهديد هذا الأساس الجوهري للكيان المكسيكي. فرضية القَدَر الظاهر البروتستانتي التي كانت أعلى منزلة من الكاثوليكية أثارت المتشددين وطالبوا بالدفاع عن الولاء الكاثوليكي المكسيكي. فمن وجهة نظر المحافظين. كانت البروتستانتيه تمثل الهمجية والوحشية أما الكاثوليكية فترمز للحضارة.(١٣)

”وكنتيجه لذلك فقد صوّر السياسيون المكسيكيون الصراع بين الثقافات على كونه صراع صليبي ضد الإلحاد البروتستانتي.”(١٤) حتى أن بعض المحافظين دعوا إلى حملة كفاحية لجلب الكاثوليكية إلى الولايات المتحدة. لإثارة هذه القضية نجد الصحيفة الإخبارية المكسيكية ”لافوز ديل بابلو” تعلن بتاريخ ١٩ تموز ١٨٤٥ بأن المكسيك سوف تتسلح وتنظم حملات بحرية وبرية مهمة للضغط على الولايات المتحدة بالسيف والبنديقية. لتتخذ الدين الكاثوليكي الروماني.”(١٥)

في الأوقات الأكثر حدائّة. حاول الأيديولوجيات تغيير إعتناق القيم المنبثقة لأنظمة مختلفة ظهرت وكان لها التركيب والقوة الواقعية والتأثير الديني على المنظمات السياسية والإجتماعية والإقتصادية وكذلك السلوك الإجتماعي المعياري. ومن بين هذه الأمثلة المعاصرة البارزة الإشتراكية الوطنية في ألمانيا. وكما ذكر أدولف هتلر. ” نحن لسنا حركة بل نحن دين.”(١٦) شعورياً يوجه ما يُخلف الأديان المسيحية في أوروبا بالدين المدني للإشتراكية الوطنية.

وقد ذكر: عندما يطول حكم الإشتراكية الوطنية بما فيه الكفاية. سوف لن يكون بالإمكان إدراك شكل الحياة المختلفة عن شكل حياتنا. في الأمد البعيد. لن يكون باستطاعة الإشتراكية الوطنية والدين البقاء سوية... الريح الأقوى التي ضربت الإنسانية هي مجيء المسيحية. المسيحية والبلشفية طفل المسيحية الغير شرعي. وكلاهما من إختراع اليهود. الكذب المتعمد فيما يتعلق بالدين قُدمَ إلى العالم بالمسيحية. الممارسات الشيوعية تُزاول الكذب بنفس الطبيعة. حيث تدعو لتحرير البشر بينما جُدها في الواقع عكس ذلك فهي تحاول فقط إستعبادهم.(١٧)

عظمة كل منظمة كبيرة جُسدُ فكرةً في هذا العالم يكمنُ في التعصّب الديني وعدم

التسامح مع الأفكار الخاصة المقتنعة بها. وعدم التسامح هذا يفرض إرادتها ضدّ كلّ الآخرين. إذا كانت الفكرة نفسها عميقة ومسلحة ويمكن أن تكافح على هذه الأرض. فأنها لا تقهر وأي إضطهاد ممكن أن يزيد من قوتها الداخلية. إن عظمة المسيحية لا تكمنُ في محاولة التفاوض للترضية مع أي آراء فلسفية مشابهة في العالم القديم. ولكن في تعصبها بمواعظها وكفاحها العنيد المتعصب تبشيراً ودفاعاً عن عقيدتها.(١٨)

وبنفس الطريقة جُد إن السمة الدينية الأساسية تحوي نظام القيم والثقافة التي نشأت بفضل علم " اللاهوت" الشيوعي والتي كان لها نتائج جغرافية سياسية هامة من الناحية التاريخية لأغلب سنوات القرن العشرين. إنعكس هذا في ملاحظات العالم الماركسي يوجين كامينكا. الذي كتب بأن "موقع كارل ماركس هو الأعظم بين المفكرين الإشتراكيين كان حامل أعظم فكرة الإشتراكية وهو المؤسس المعلن بشكل أخير لأحد أعظم المذاهب في العالم. وبالطبع لم تمنع عظمته من أن يستجوب. وبلا شك فأن الفكرة مستمرة لفترة على الأقل".(١٩)

وبأسلوب مشابه. كان ظهور الولايات المتحدة على كونها كيان وطني منفرد بمخططات عدائية للتوسع القاري وما بعد الإرتباط مع نهوض الدين المدني العلماني متضمناً وكإيقونته المركزية مفهوم " الحرية الفردية " على إنها هبة طبيعية أساسية. نظام القيم الثقافية الذي إنبثق على تأسيس هذا المفهوم والذي أجد في المستعمرات البريطانية هوية وطنية متميزة سوية مع فرض الإلتزام المقدس لنشر المذهب الجديد. وكما ذكر كولس الوعي الأمريكي

للقدر الظاهر نشأ من "مواضيع القرون القديمة للدين المدني الأمريكي : وهذا يقدم أمريكا بمنزلة أعلى وإن طبيعة الإختيار وواجبها لإستعادة القارة وربما العالم لتبرير توسع الحدود الأمريكية جغرافياً وسياسياً". (٢٠)

حاليا، الدين المدني الأمريكي للحرية الفردية ونظام القيم الثقافي والذي يرتفع بين الحركات الأكثر قوة وذات الرمز والسمة الثقافية في العالم. اعتبر الحرية الشخصية على أنها مبدأ مشروع للتنظيم الثقافي والسياسي في المجتمع. فأن مفهوم حقوق الفرد تم تعريفها الآن في الدين المدني الأمريكي والذي حاول الأمم تطبيق أنظمة ماثلة له وغالباً ما تُقدّم على كونها إمتدادات لبرالية (حرة) للثقافة والحضارة الأمريكية .

هذه الملاحظات لها علاقة بالوضع المعاصر الذي نواجهه في العراق وأفغانستان. وأساساً، ومن المنظور الذي تم تقديمه أعلاه، يمكننا أن ندرك بطريقة أفضل كفاحهم من أجل أفضل مستوى ثقافي أساسي على كونه صراعات بين الأديان المدنية المختلفة ونظام القيم الذي ينجم عن كل طرف. لذلك يجب أن نعرض النزاعات في العراق وأفغانستان في الجوهر على كونها أنظمة قيم غير متوافقة وذات إفتراضات تكوينية حول العلاقات المناسبة بين الأفراد والذين يحكمونهم: وإن المذهب العلماني يؤكد على وجود حقوق الفرد الطبيعية بعيداً عن الحكومة ويخوض صراعاً مع نظام القيم الذي يتغاضى عن وجود مثل هذه الحقوق وخضوع المطالب إلى ما أملاه الله وكما تم تفسيره من قبل علماء الإسلام وبمسؤولية الحكومة.

نحن نستطيع أن نوضح الإختلاف بمقارنة معظم الأشكال الرئيسية ودور الوثائق المركزية المغروسة في الدين المدني للولايات المتحدة الأمريكية الدستور الأمريكي وإعلان الإستقلال مع تلك الوثيقة المركزية للثقافة الإسلامية والحكومة: القرآن.

الوثائق المتعلقة بالدين المدني الأمريكي تجعل الإحترام ولكن بصورة عامة والإشادة بإله الإغريق على كونه مصدر الكرامة والحقوق الإنسانية، بينما يؤكد بأن الناس لهم السلطة النهائية على أنفسهم وعلى حكومتهم المدنية. علاوة على ذلك فأن الوثائق تحدد أساليب معينة لتعديلها إرضاءً لرغبات الناس المتغيرة. بالمقارنة فأن القرآن يضع الله للإسلام في مركز الحكومة، ويؤكد بأن كلماته المدونة في القرآن غير قابلة للتغيير، وبصورة خاصة من قبل الناس وبالتأكيد

ليس من خلال الإقتراع بواسطة أكثرية الأصوات. (على الرغم من هذا، فبين المسلمين الأصوليين لكل الشرائح جُذ ترك تطبيق تفسير ما يعني القرآن في الممارسة إلى رجال الدين والعلماء الإسلاميين). كنتيجة، نحن يجب أن ندرك بأننا يمكن أن نؤسس تعددية ديمقراطية بنجاح في البلدان التي لم تعرفها أبداً فقط إذا نحن غيرنا بصورة واسعة القيم الثقافية فيها جذرياً والتي تجعل القبول الثقافي الحالي بالديمقراطية فعلياً مستحيل بسبب الجهل الإسلامي بالتمسك بالمعنى وعدم تغييره.

فهم النزاع الحالي بهذه الطريقة يُظهر بأنه من المستحيل أن يُربح من خلال الإجراءات العسكرية وبالتأكيد المجتمع الغربي غير مستعد معنويًا لاتخاذ ذلك. — لذا فإن النزاع الحالي يمكن أن ينتهي فقط عندما تتعدل القيم الأساسية لدين ما أو لآخر بما فيه الكفاية لجعلها متوافقة مع قيم الآخر. ولعمل ذلك، يجب على الولايات المتحدة، إما أن تتخلى سياستها عن تصدير الدين العلماني للحرية الشخصية، والذي يحمل الافتراض الذي يقدم علاج عالمي إلى وضع البشر، أو يجب أن يُخفف المعارضون الإسلاميون الأصوليون تمسكهم المستبد بنصوص القرآن والسلطة المدنية لقانون الشريعة الإسلامي المنبثقة منه. بالتأكيد، أسامة بن لادن والقاعدة يعرضون الكفاح بهذه الطريقة: "أنا واحد من عباد الله، نحن نُؤدي واجبنا القتالي في سبيل دين الله. ومن واجبنا أيضاً إرسال نداء إلى كافة الناس في العالم للتمتع بهذا النور العظيم ولإعتناق الإسلام والتمتع بالسعادة في ظله. إنها مهمتنا الأساسية تعزيز هذا الدين." (٢١)

ليست هذه المرة الأولى التي تواجه فيها القوى الغربية تحدي فرض الدين المدني من الأعداء السابقين. رأى الساسة والقادة العسكريين الأميركيين مرة أن العمليات التي استهدفوا منها تغيير القيم الثقافية بشكل واسع وكامل للسكان بتعديل دينهم المدني، كانت إجراءات خاطئة سياسياً لكن كمكونات ضرورية من أجل إنهاء نجاح للنزاع. على سبيل المثال القادة الأميركيين أدركوا بأن الولايات المتحدة لا يمكن لها أن تنتصر على الإمبراطورية اليابانية إذا لم تستطيع أن تقطع جذور عبادة الإمبراطور وإذا لم يعتنق اليابانيون العلمانية ومنهج التعددية الديمقراطي لكي يكون بديل عن الدين المدني. وأصبح هذا العقيدة الغالبة لسياسة إعادة البناء للولايات المتحدة ما بعد الحرب لليابان المحتلة. تغيير الدستور الياباني بعد الحرب رمز إلى التغيير الثقافي والذي بحثنا عنه في "لجنة ماتسو موتو (المسودة أي)" أبقى المجلس السري وغير فقط تغييراً بسيطاً في

البنود الأربعة الأولى للدستور والتي تتعلق بالعناصر المهمة لنظام الإمبراطور. المادة ٣ من الدستور قد ذكرت بأن شخصية الإمبراطور هي شخصية مقدسة. وإن المسودة قد تم تغييرها إلى ما يلي : شخصية الإمبراطور هي شخصية سامية. (التأكيد في النسخة الأصلية).(٢٢)

بنفس الطريقة. إفترض الحلفاء بأنّ النازية سوف تبقى قادرة على النهوض مرةً أخرى حتى يقطعوا جذور عبادة الفوهرر(هتلر) بالإضافة لذلك دين سيادة العنصر الآري وتستبدل بالمساواة. وفقاً لرأي جيمس أف. تيننت "إن موضوع إنشاء الديمقراطية في ألمانيا يتطلب تأسيس حكومة شعبية. إنتخابات حرة. دستور ديمقراطي. أحزاب سياسية مستقلة. وحكومة محلية ذات ميّزات مؤسساتية بسيطة: ويتطلب الأمر إلى روح داخلية تعطي معنى "إعادة الثقافة" وبذلك تصبح شعاراً للمحتل لوصف الجهود للعملية الديمقراطية للألمان".(٢٣) علاوة على مواجهة الشيوعية أثناء الحرب الباردة. وكالة الإعلام الأمريكية ووكالة المخابرات المركزية. وبالتوافق مع الدبلوماسية المتزامنة لوزارة الخارجية. نُفذت حملة تقييم كاملة للمواجهة المباشرة مع قيّم الماركسية اللينينية وقد أُستُخدمت الأسلحة الثقافية كرؤوس حربية والتي تتكون من قيّم الديمقراطية التحررية المنمقة بعناية والتي إشتُقت من الدين المدني للولايات المتحدة.(٢٤)

وبصورة ماثلة إن أي درجة من المعرفة الثقافية والإحترام الذي ينمو بين قواتنا للثقافة العربية الإسلامية في العراق وأفغانستان سوف تكون غير مفيدة إذا لم نفهم بأن النجاح يعتمد على قدرة قوات التحالف لتحويل الدين المدني للعراق وأفغانستان بالأسلوب الذي يدعم القبول الثقافي الواسع لحرية الفرد على كونها مبدأً شرعي لتنظيم المجتمع. وإن درجة قياس هذا النجاح سوف يقدم البرهان الواضح للقبول الشعبي لكيان وطني مستقل وكما يظهر من خلال النمط المستمر للنقل السلمي للقوة من خلال الإنتخابات الديمقراطية وتحمل فكرة الأقليات. دليل قاطع مثل هذا التغيير الثقافي سيتطلب أكثر من مغازلة عامّة ببضعة إنتخابات.

وبالتالي. فأن السؤال المهم الذي يتسائله المخططون العسكريون وصناع السياسة بخصوص العراق وأفغانستان هو: ماهية العناصر والأساليب الرئيسية للمعرفة الثقافية التي تحتاجها القوات العسكرية لكي يغير القيم الأساسية المغروسة والتي تسند تلك الثقافة؟ تحتاج القوات العسكرية إلى أكثر من

دراسة لمبادئ الحقائق الثقافية أو إمتلاك المستوي العالي للمهارات اللغوية المتطلبة. القوات العسكرية تحتاج إلى فهم دقيق للطرق المطبقة والتي لها تأثير على التغييرات الثقافية داخل المجتمعات.

سوف لن نجد الإجابة في تنمية الوعي الواسع السطحي النسبي للثقافات التي تعمل قوات التحالف ضمنها. بل بالعكس. نحن نستطيع أن نحسم الغاية لهذه النزاعات فقط بتنمية المتكافئ الوظيفي للقيم الثقافية المتزامنة كلياً "المبشّر" من قبل أولئك الذين لهم مهارات الإقناع والإجبار لقبول القيم الأساسية للدين المدني الديمقراطي الذي يُشكّل ويُعدّل السلوك السياسي الإجتماعي. لذلك ومن أجل نجاح حملة التحالف فهناك قيم معينة يجب تقديمها ونشرها بثبات في العراق من قبل العمليات التبشيرية الثقافية والتزود بمصادر تغيير العقيدة وإحترام تحمل الحقوق غير المحدودة للحرية الشخصية للوجدان والإختيار كمطلب لتكوين مؤسسات ديمقراطية سياسية في العراق.

للوصول إلى هذا النوع من الفهم، نعرض ملاحظات تي. إي. لورانس بخصوص الفهم العميق لطبيعة الثقافة العربية أو نظريات مكافحة التمرد لديفيد كالولا (٢٥) حيث أنها تشير إلى ضرورة الدراسة الأساسية لأصحاب الإختصاص الفاعلين لتعديل القيم كما فعل اليسوعيون والشيوخ العالمية ووسائل تغيير العقيدة والتقنيات وطرق وإجراءات محمد (صلعم) نفسه. خصوصاً يفهمون طبيعة هذا النزاع أكثر مما نفهمه نحن: "الديمقراطية هي كلمة إغريقية تعني حكم الشعب وهذا يعني إن الشعب يعمل ما يراه مناسباً... إن هذا المفهوم يُعتبر ارتداد عن المُعتقد وعصيان لعقيدة الله-المسلمين" (٢٦)

طالما إن التغيير في أنظمة القيم على المستوى الثقافي يبرهن عن صعوبة غير إعتيادية تحت أي ظرف. فما هي الخطوات العملية التي نتخذها لدعم مثل هذا البرنامج؟ لتسليط الضوء على الأساسيات. يجب علينا أن نمنع النظر في العبارة التالية المستخدمة من قبل رئيس طائفة المطهرين (جماعة بروتستانية في انكلترا ونيو انكلند- في القرنين ١٦ و١٧ - طالبت بتبسيط طقوس العبادة وبالتمسك الشديد باهداب الفضيلة- قاموس المنجد) الكابتن جون أندر هل لتبرير الإبادة القاسية للأمريكيين الأصليين من سكان قرية "بايكوت" والتي كانت سابقاً قريبة من ما يعرف اليوم "ويسست مايسك" في ٢٦ أيار ١٦٣٧. أندر هل قاد هجوماً للمبشريات المطهرين المتزمتين على القرية النائمة بدون سابق

إنذار. وصارت مذبحه قتل فيها أكثر من ٤٠٠ من السكان الأصليين ومعظم هؤلاء من كبار السن والنساء والأطفال. ولتبرير هذا الهجوم فقد كتب:

أود أن أشير إلى " داوود" حيث إنه قال : عندما غرق الناس في سَفَك الدماء والخطيئة ضد الله والبشر. وكل الخلفاء في العمل. هناك لم يكن لديهم أي احترام للإنسان. بل إنهم سلبوهم وقتلوهم ورفعوا رؤوسهم على السيوف. وبأبشع صورة ممكنة: أحيانا الكتاب المقدس يصرح بأن الأطفال والنساء يجب أن يقتلوا مع ذوبهم؛ وأحيانا القضية تتغير: نحن ليس بصدد هذا النقاش الآن. كان لدينا نور كافي من كلمة الله الأولى لإجراء اتنا.(٢٧)

لوصف السبب الذي أوصلهم هو وأتباعه المطهرين المتزمين إلى الإستنتاج بأنهم كانوا عادلون في عملهم. تصريحات أندرو هل أكدت بأن كتاب جيدوالمسيحي المقدس قد أعطاه السلطة بقتل الكافرين. ومثل هذه الإدعاءات من العنف المُقرِّ إليها والمستند على كتاب مقدس والذي يقود إلى همجية شنيعة لا يمكن وصفها ليس فقط بين طوائف المسيحيين الأوروبيين في العصور الوسطى أثناء الحروب الطائفية العديدة التي لم تعرف الرحمة ولكن كذلك بين العديد من طوائف المسلمين. والهندوس والبوذيين. مع تسجيل ملاحظة الميل الشائع جداً للكهنه لإدعاء سلطة قدسية على مسألة "إفشاء سر الكتاب المقدس" الذي يبرر أعمال العنف القسري. مؤسسو الديمقراطية الأمريكية وبالتعلق بالدين الأوربي ذو صفة الشجار أرادوا القيام بتأسيس حكومة علمانية وهذه الحكومة تستثني بالتحديد رجال الدين من ممارسة السلطة السياسية واستبدال كتاب جيدو المسيحي بسلطة مدنية والإعتماد على نظام القانون العلماني.

هذا الفصل الرسمي لطوائف الدين عن سلطة الدولة قد عزز البيئة الثقافية التي تساعد على خلق الشروط ليست فقط لتطوير التمرين الفردي للحرية الشخصية للضمير والتعبير بل أيضاً لإزدهار التحقيق الذهني الحر الخالي من التطفل وتدخل السلطة الدينية المدعومة من قبل الدولة. بعض المراقبين قد أكدوا بأن حالة التحرر من الدين الطائفي هذه تعزز المبادرة الفردية التي لم يسبق لها مثيل والتي تؤدي أيضاً إلى ازدهار المشاريع الإقتصادية.(٢٨)

ومن اجل ذلك بينما نناقش المحتوى وإتجاه المستقبل لتقييم العمليات. التجربة الأمريكية في الدين المدني العلماني قد تعطي دروس مفيدة من أجل إحداث التغيير البناء للقيم المتطلبة لإعطاء العراق وأفغانستان الديمقراطية

التي هي الفرصة الوحيدة والمهمة لإستئصال الإرتباط الإسلامي الديني بإدارة الدولة الرسمية. وبعبارة أخرى للحصول على ظروف تؤدي إلى الديمقراطية. الشعب العراقي سوف يضع القرآن في نفس المكانة الثقافية المحترمة ضمن مجتمعه وبنفس المكانة التي يحتلها كتاب جيدٍ المسيحي المقدس الآن في المجتمعات الديمقراطية الغربية المتطورة. مصدراً لإختبار التقاليد والحكمة والمعرفة ضمن تاريخ الأحكام الشرعية الإسلامية لكن مستثناة كلياً من المقام القانوني الرسمي كتمثيل السلطة لتنفيذ القانون المدني.

بما إننا نزعنا السلطة الشرعية المدنية من رجال الدين المسيحيين ولم تبقى لهم سوى أمور طفيفة ضمن دائرة مرسومة. فعلى العراقيين أيضاً أن ينتزعوا سلطة رجال الدين الإسلامي بحيث لا يمكنهم ممارسة أي سلطة مدنية باستثناء بعض النشاطات كمراسيم الزواج. ذلك لضمان إن العراق بعد رحيل قوات التحالف سوف لن يسقط في الصراع المُكَلِّف المدفوع من أعراف وتقاليد إسلامية قديمة الذي قد يشمل الإنقسام ضمن المجموعات الطائفية. وبالنهاية، فالخصيلة هي إننا لا نستطيع تفتادي الهيمنة بإجحاف المذاهب الإسلامية القوية التي ليس ليهما أي مصلحة تسمح بالممارسة الشرعية للضمير الشخصي بعيداً عن تفاسير القِيم الدينية التي أملاها الأئمة. هناك مقال في جريدة واشنطن بوست يعبر عن وجهة النظر العدائية التي تعارض تكوين حكومة لا يسيطر عليها رجال الدين: " أبو إبراهيم قال إنه يَعتَبِر الحكم في أفغانستان أثناء حكم الطالبان واحد من الحكومات الإسلامية الحقيقية القليلة منذ زمن محمد (صلعم). فأن (القرآن الكريم هو الدستور. وهو القانون الذي يحكم العالم) هكذا قال." (٢٩)

المعضلة التي تواجه القوات المسلحة كذلك قوات التَحَالُفِ، هي في الحكم على أن هذه الصراعات الحالية يُمكنُ أن تُحلَّ فقط بالإعتراف الصريح بأنها نزاعٌ بين الأديان المدنية وإمكانية فهمها على كونها إختبار أساسي لقوة الإقناع من قبل كلا الطرفين بصحة ذلك الدين المدني. إن السؤال الحقيقي هل نحن باعتبارنا التَحَالُفِ لدينا نفس عمق الإقناع بخصوص تفوق ديننا المدني والقِيم التي تنشأ منه والتي سبق وأن إحتفظنا بها على كونها الواجهة التي تشكل سياسة الإحتلال نحو اليابان الإمبراطورية وألمانيا النازية وكذلك سياسة الحرب الباردة في النزاع الثقافي مع الماركسية اللينينية في الإتحاد السوفيتي. إن الديمقراطيات الغربية سوف ترغبُ في حلولٍ قوية موحدة تُدعم حملة القِيم

لتحويل سكان الشرق الأوسط إلى نظام قِيمٍ مدني يُؤسّس حرّية فردية علي كونها قِيمٍ ثقافية جوهرية في المجتمعات الديمقراطية. لذا يعتمدُ النجّاحُ أخيراً على فاعلية حملاتٍ مُصمّمة أساسها القِيمُ المُحدّدة التي تُقنعُ ثابتي الرأي من عامة الناس بقبول الخيارات البديلة لتحل بدل القِيمِ الفاشيية الدنيوية للولاء السنّي للنظام السابق. والقِيمِ الفاشيية للإسلام الوهابي الأصولي المتطرّف. أي شيء يقل عن مثل عمليّات القِيمِ المنسقة هذه، لكسب هذا التغيير الضروري، هو خِداءٌ للنفس عديم الفائدة يُبدد الجهود على هوامش القضية الأساسية.

نستنتج ما قرأنا أعلاه، إنه مهما كان العون السياسي القصير المدى المقدم إلى التحالف نتيجة قيمة العلاقات العامة من جراء الإنتخابات السابقة، فإن التأثير الوقتي لمثل هذه الأحداث العابرة يخفت ضوءه مقارنةً مع التأثير المدمر الطويل المدى للإذعان الرسمي لسيطرة السلطة الدينية الإسلامية على أجهزة الدولة الرسمية. إن إذاعة بيان عام يرسل من قبل أعضاء التمرّد العراقي على شبكة الإتصالات العالمية عن هجوم إنتحاري في الموصل، العراق، يُنذرُ بنتائج تُرك ساحة معركة القِيمِ بالسّماح لرجال الدين بتولّي السلطة العلمانية في أمّا العراق أو أفغانستان.

"نداء إلى الجهاد يرتفع في شوارع أوروبا، ويُجاب". تقرير في جريدة نيويورك تايمز في نيسان ٢٠٠٤، قصّة التاييز إقتبست من رجل دين مسلم في بريطانيا يبيع "ثقافة الإستشهاد". إمام جامع في سويسرا بحث أتباعه على "فرض إرادة الإسلام على المجتمع الملحد للغرب" وزعيم إسلامي أصولي آخر في بريطانيا يتنبأ بأن "أخوتنا المسلمين من الخارج سيّجيئون يوم ما لمعركة الفتح هنا، وبعدها سنّعيش بظلّ جلال الإسلام".

معسكر ليفينورث، كانساس

الملاحظات

١. بين الآخرين، أنظر ماكسي ماك فارلاندي، "تعليم ثقافي عسكري" ميلتري ريفيو، نيسان/أذار ٢٠٠٥ أبريل/مارس، ٦٩-٦٢؛ مونتغومري ماك فيت، "المرفق العسكري لثقافة الخصم المتعاطفة"، القوات المشتركة، الرُّبع الثالث، يُصدر ٣٨ (٢٠٠٥): ٤٢-٤٨، http://www.dtic.mil/doctrine/jel/jfq_pubs/1038.pdf، كرسستوفر فارهولا، "الجيش

الأمريكي في العراق: هل نحن أسوأ عدو لنا؟ " مارس في علم الأجناس البشرية
٢٦. لا. ٤ (٢٠٠٤): ٤٠: House and , تصريح آرثر كي. سيبروسكي. مدير في تحويل
القوة. مكتب وزير الدفاع. اللجنة الفرعية على الإرهاب. تهديدات غير مألوفة.
وقابليات. لجنة القوات المسلحة. مجلس النواب الأمريكي. 108 Cong. . 2 d sess . ٢٦
شباط / فبراير ٢٠٠٤

٢. صموئيل بي. هانتينجتن. "صراع الحضارات؟" الشؤون الخارجية. صيف ١٩٩٣, ٧٢-٧٣

٣. ed , شاهدُ حكم الله: سياسة الأديان العالمية نوسنير يعقوب (واشنطن. دي سي:
مطبعة جامعة جورج تاون. ٢٠٠٣). أنظر أيضاً آر. إتش. تاوني. دين وإرتفاع
الرأسمالية: دراسة تاريخية (نيو برونسويك. إن جي: ناشرو صفقة. ٢٠٠٠): ماكس
ويبير. نظرية المنظمة الاجتماعية والإقتصادية. عبر. أي. إم. هيندرسن وخوريو
تالكوت (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد. ١٩٤٧): وماكس ويبير. الخلق
البروتستانتية وروح الرأسمالية. (New York: Charles Scribner's Sons, ١٩٧٦) بواسطة
تالكوت بارسون

٤. (ماثيون ١٩٣٨ لندن). ٤٢٢-٢٣ ماتنكلي فرانز التيم. تأريخ الدين الروماني. بواسطة.
هارولد "لأخذ نقطة واحدة قبل الآخرين. بسيطة كثيرا. تلك الطائفة. جوهر الدين
الروماني. له أهمية أوسع جدا للحالة والسياسة ما كانتا مفترضة عموما. العبادة
الحذرة والمتواصلة للآلهة في تلك الحالة كانت الشروط الضرورية للنهوض وحكم
روما" (٤٢٣).

٥. روبرتا إل. كولس. "قَدْرٌ ظاهرٌ كَيْفَ تحديث حرب التسعينيات: تشابك المهمة
والقدر" علم اجتماع الدين ٦٣. رقم. ٤ (شتاء ٢٠٠٢): ٤٠٣٥

٦. ألن وردمان. الدين وأصول الحكم بين الرومان (لندن: غرناطة. ١٩٨٢). ٥٨-٥٩. المجموعات
الدينية التي رفضت إحترام الإدعاءات الرومانية عن السلطة القدسية للغزو
والقاعدة السياسية عوملت بطريقة وحشية وقضي عليها. على سبيل المثال.
الكهنة (الذين شكّلوا الطائفة الدينية البريطانية الأبرز) وفُرقوا للإيذاء بسبب
الإدعاءات الرومانية بأنهم إستعملوا الخلفيات الدينية لتحريك المقاومة ضد الحكم
الروماني. ملاحظين هذه كسياسة رومانية رسمية. كتب. بليني "تخلص من
الكهنة وهذا الحشد من العرافين والأطباء السحرة... بعد حساب كم هو عظيم
الدين الذي يخص الرومان الذين جرفوا المناسك البشعة في أن قتل رجل كان
الواجب الديني الأعلى وأكل ذلك الرجل كان جواز سفر إلى الصحة الجيدة."
مقتبس في وردمان. دين وأصول حكم. ٥٨-٥٩. وأيضا. "كما هو معروف جيدا. في
أوائل القرن الأول أصبح الكهنة والدين الذي يمثله هدفا للإجراءات القمعية

المتعاقبة من قبل السلطة الرومانية ووفقاً لسيوتانيس أخذ أكستوس على عاتقه منع الديانة الأصلية لهؤلاء اللذين أصبحوا مواطنين رومان؛ ويعلق بليني كيف أصدر مجلس الشيوخ الروماني قراراً ضد الكهنة وكل المنجمين والأطباء السحرة وبين سيوتانيس مرة أخرى بأن كلوديوس في سنة ٥٤ ' ألغى بالكامل الديانات الهمجية واللاإنسانية للكهنة السلتيين." مقتبس من ستيفارت بيكوت كتاب الكهنة (١٩٧٥؛ repr., New York: Thames & Hudson, ١٩٩٩), ١١٩.

.See also *Wikipedia: The Free Encyclopedia*, s.v. "Druid," <http://en.wikipedia.org/wiki/Druids>

٧. مايكل خوداركوفسكي، كتاب حدود سهل روسيا: صنع الإمبراطورية الإستعمارية، ١٥٠٠-١٨٠٠ (بلومغتن: مطبعة جامعة إنديانا، ٢٠٠٢)، ٤٧. أنظر أيضاً فيروزه مستشاري، كتاب "الإستعمار الروسي لأذربيجان القوقازية، ١٨٣٠-١٩٠٥، وفي كتاب تمديد حدود التاريخ الروسي، ed. ألفريد جي. ريبرومارشيا سيفيرت (بودابست ونيويورك: مطبعة الجامعة الأوروبية المركزية، ٢٠٠٣)، ١٧٥.

٨. مايكل خوداركوفسكي، كتاب حدود سهل روسيا ٣٧

٩. روبرت إف . بومان، "إصلاح الخدمة العالمية ومعضلة روسيا الإمبراطورية، "حرب ومجتمع ٤، عدد ٢ (سبتمبر/أيلول ١٩٨٦): ٣٥.

١٠. التيم، " تاريخ الدين الروماني "، ٤٢٩

١١. أميال نيلسن، "مسألتنا الهندية، "مجلة لمؤسسة الخدمة العسكرية من الولايات المتحدة ٢ (١٨٧٨): ٢٩

١٢. ماريا ديل روزاريو رودريكاز دياز، "رؤية المكسيك من القدر الظاهر أثناء حرب ١٨٤٧، "مجلة الثقافة الشعبية ٣٥، عدد ٢ (سقوط ٢٠٠١): ٤٣.

١٣. .Ibid . ٤٥ .

١٤. .Ibid .

١٥. .Ibid .

١٦. روبرت جي . إل . ويت، الإله المضطرب العقل: أدولف هتلر (نيويورك: الكتب الأساسية، ١٩٧٧)، ٢٩

١٧. جورج إتش . ستين، هتلر (منحدرات أينجل وود، إن جي: قاعة برينتس ١٩٦٨).

- ١٨ . أدولف هتلر كـفـاحي. بواسطة. رالف مانهايم (بوسطن: هوتون ميغلن. ١٩٧١). ٣٥١.
- ١٩ . كارل ماركس. كارل ماركس النقتال , يوجين كامينكا أي دي (نيويورك: بطريق فاينكنك. ١٩٨٣) .
- ٢٠ . كولز. "قدر ظاهر. " ٤٠٤
- ٢١ . أسامة بن لادن. مقابلة من قبل جون ميلير. ABC . مايو/أيار ١٩٩٨
<http://www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/shows/binladen/who/interview.html>
- ٢٢ . ديمقراطية اليابان: إحتلال التحالف، أي دي. روبرت إي . وورد وساكوموتو يوشيكازو (هونولولو: جامعة صحافة هاواي. ١٩٨٧). ١١١. أنظر أيضا ريتشارد بي . فن. فائزون بسلام: ماك آرثر. يوشيدا واليابان ما بعد الحرب (بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا. ١٩٩٢). ٤٧-٦٥: مايرون هاريس و سوزي هاريس . إغماد السيف: نزع سلاح اليابان (نيويورك: ماكميلان. ١٩٨٧). ٣٣-٨٤.
- ٢٣ . جيمس إف . تينت. مهمّة على الراين: "إعادة تعليم" و إعادة النازية في ألمانيا تحت الإحتلال الأمريكي (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو. ١٩٨٢). ١, ١٣-٣٩. أنظر أيضا آرثر لي سميث. حرب العقل الألماني: إعادة تربية جنود هتلر (بروفيدانس. آر أي: كتب بيركهام. ٩٦): وتيموثي آرفوت. إعادة النازية في ألمانيا تحت الإحتلال السوفيتي : براندنبرج ١٩٤٥-١٩٤٨ (كامبردج: مطبعة جامعة هارفارد. ٢٠٠٠).
- ٢٤ . أنظر والتر إل . هيكسون. فصل الستارة: الدعاية. ثقافة. والحرب الباردة. ١٩٤٥-١٩٦١ (نيويورك: مطبعة سانت مارتن. ١٩٩٧). أنظر أيضا ديفيد كوت. الراقص يرتد: الكفاح للسيادة الثقافية أثناء الحرب الباردة (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد. ٢٠٠٣): وفرانسيس ستونور ساوندرز. الحرب الباردة الثقافية: وكالة المخابرات المركزية وعالم الفنون والرسائل. نيويورك: الصحافة الجديدة. ١٩٩٩.
- ٢٥ . أنظرتي. إي. لورانس. أعمدة الحكمة السبعة (نيويورك: كتب أنكور. ١٩٩١): وديفيد كالولا. حرب مكافحة التمرد: النظرية والممارسة نيويورك: بريكربريس. ١٩٦٤.
- ٢٦ . "ديمقراطية سُمّيت غير إسلامية. " كانساس سيتي ستار ٣١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٤, أي ١٣.
- ٢٧ . رونالد دايل كار. " لماذا يجب أن تكون غاضب جدا؟ ' عنف حرب البوكوت. "مجلة التاريخ الأمريكي ٨٥. عدد. ٣ (ديسمبر/كانون الأول ١٩٩٨): ٨٧٧.

- ٢٨ . أنظروبيير " نظرية المنظمة الإجتماعية والإقتصادية "؛ وبيير " خلق بروتستانتى " .
- ٢٩ . غياث عبد الأحد، "خارج العراق لكن عميق في المعركة: مهرب للمتمردين يكشف دور سوريا المؤثر والمتغير" واشنطن بوست، ٨ يونيو/حزيران ٢٠٠٥ ، ١ .
- ٣٠ . فيليب سيب، "وسائل الإعلام الإخبارية و'صراع الحضارات' " باراميترز ٣٤، عدد. ٤ (شتاء ٢٠٠٤-٥) ، (٧) <http://www.carlisle.army.mil/usawc/parameters/04winter/seib.pdf> .

براءة ذمة

أن الاستنتاجات والآراء الواردة في هذه المقالة تعبر عن آراء المؤلف فقط استنادا إلى حرية التعبير والبيئة الأكاديمية للجامعة الجوية . وليس للحكومة الأمريكية ، أو وزارة الدفاع، أو القوة الجوية، أو الجامعة الجوية أي علاقة بهذه المقالة بأي شكل من الأشكال .